كلمات سريعة في عصمة أئمتنا الإثني عشر (عليهم السلام) بقلم الشيخ حيدر اليعقوبي

كلمات سريعة في عصمة أئمتنا الإثني عشر (عليهم السلام) ....

وهي قضية واضحة في عقيدتي وقناعتي ، عند كل من يقرأ النصوص الواردة بفهم وإستيعاب ، ووعي للترابط والإنسجام الذي يظهر بالتمعن في مجموع الأدلة والإشارات الواردة في مقام البيان والتنبيه .

ومن هذه الأدلة والإشارات ما يلي :

١- حديث الثقلين ، وهو قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ، كتاب الله وعترتي .

مع وضوح ان كتاب الله كتاب معصوم لا يأتيه الباطل ، وقد حصل بموجب هذا البيان قرن ومساواة وتوحيد في النتيجة والغاية ، وهي الهداية الى الحق ، التي لا تحصل بحسب المفروض الا بإتباع الطريق الحق الذي تبين أن أحد ركنيه هو القرآن والركن الثاني هو الأئمة (عليهم السلام) ، ولايمكن ان يتم ذلك الا بإفتراض العصمة في الركن الثاني أيضاً .

٢- آية التطهير ، وهي قول الله تعالى : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)

حتى بناء على أنها نزلت مع بدايتها دفعة واحدة ، فإن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خصصها (

وهو في مقام البيان والحصر) في عدة مناسبات ، خصصها في أهل بيته (عليهم السلام) ، وهم الإمام علي والحسن والحسين (عليهم السلام) ، مع الزهراء (عليها السلام) ..

ومن تلك المناسبات عندما جمعهم تحت الكساء ، وخصصها فيهم كما في عدة روايات وردت في كتب الشيعة وغيرهم , حتى أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أخرج منها أم سلمة (رضوان الله تعالى عليها) , مع أنه بشرها بأنها الى خير ..

والتطهير من الرجس بموجب كل هذه القرائن والإشارات ، وبمقتضى كل هذا التأكيد والتركيز ، كان بمعنى التقديس والتنزيه المرادف لمعنى العصمة عن الذنوب وعن الخطأ والضلال .

٣- عصمة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الذنوب وعن الخطأ في مقام التبليغ ، إذ هي ثابتة للنبي (ص) عند كل مؤمن حقيقي ، يفهم قول الله تعالى : (وما ينطق عن الهوى ، إن هو الا وحي يوحى) ، ويستوعب معنى الإصطفاء ، ومعنى قوله تعالى : (وإنك لعلى خلق عظيم) .

هذه العصمة لها ملاك وتفسير ، وسبب وتأويل ، وهو نفسه ينطبق حتماً على مقام الوصي والإمام الذي يختاره النبي (ص) بأمر الله ووحيه ، ليكمل الرسالة من بعده ، من دون الحاجة الى مقام النبوة .

واذا ثبت هذا الأمر لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) ، فلماذا لايثبت لمن بعده ، خصوصاً للحسن والحسين (عليها السلام) ، المنصوص عليهما أيضاً ، وهما سيدا شباب أهل الجنة ، والإمامان قاما أو قعدا ..

واذا ثبت لهما ، فلماذا لا يثبت لمن بعدهما من الأئمة (عليهم السلام) ممن نص عليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما في بعض الروايات ، أو نص عليه الإمام المنصوص عليه .

بل المفروض ان العصمة هي من لوازم الإمامة التي هي مكملة للرسالة المحمدية ، والتي إبتدأت سلسلتها وقاعدتها بنص ثابت عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم أمر الأمة بأن تبايع بالسمع والطاعة والولاء لخط الإمامة والخلافة الذي إبتدأ بعلي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وهو الذي سيقرر وينص على من سيكون بعده .

٤- ان كلمة (إمام) في القرآن الكريم عندما وردت في سياق الحديث عن الأنبياء (عليهم السلام) ، وردت بمعنى قيادة الناس وإيصالهم وهدايتهم الى الحق وأمر الله تعالى ، وهذا المعنى لا يتم ولا يحصل الا بالعصمة في مقام التبليغ .

فإذا وردت كلمة إمام أو أئمة في سياق حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يتحدث عن الخلافة والوصاية من بعده ، فهذا يعني ان المقصود منها هو نفس المعنى السابق ، وهو قيادة الناس وإيصالهم وهدايتهم الى الحق وأمر الله تعالى ، وهذا المعنى لا يتم ولا يحصل الا بالعصمة في مقام التبليغ ، لكن بعنوان الوصاية أو الخلافة لا بعنوان النبوة .

٥- إنه قد وردت روايات عديدة متظافرة ، تصف الأئمة (عليهم السلام) بأنهم أركان الأرض والهداة وحجج الله ونور الله وأمناء الله وخزنة علمه ، ونحو ذلك من الأوصاف التي لاتتحقق ولا تتم الا في معصوم عن الذنوب

والضلال ..

وفي روايات أخرى عن النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) وردت حتى في كتب العامة أن مثل أهل بيت النبي كمثل سفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها هلك ، وأنهم أمان لأهل الأرض عند الإختلاف ، ونحو ذلك مما يكشف عن كونهم أهل حق وهداية واقعية ، وهو دليل واضح على العصمة .

٦- ان العصمة عن الذنوب متحققة بالنقل أو بالوجدان في عدد من الأشخاص على طول التأريخ ، فهي ممكنة بنحو الإكتساب والسعي ، فلماذا يمنعها البعض أو يحيلونها في أئمتنا (عليهم السلام) ، وهم أهل التقوى والورع والفضل عند جميع المذاهب الإسلامية .

وأما العصمة في التبليغ فأئمتنا (عليهم السلام) يشهدون بها لأنفسهم ، وهم يعلمون الناس أصول الدين وفروعه بلسان العصمة والعلم اليقين ، وليس بلسان أهل الرأي والإجتهاد ، وهم (عند علماء الرجال والفقه من أمة الإسلام) منزهون عن الكذب

والإدعاء ، وفوق التوهم والجهل المركب ..

يظهر ذلك بوضوح من مراجعة تراجمهم (عليهم السلام) وكلمات أئمة المذاهب وعلمائهم فيهم (عليهم السلام) .

وليس في هذا دور أبداً ، لأن ثبوت العصمة لهم ، بناء على هذه الإطروحة ، كان بشهادة الأئمة (عليهم السلام) أنفسهم بذلك ، وحجية هذه الشهادة تأتي من مصداقيتهم وعلو منزلتهم الأخلاقية والعلمية عند العلماء .

هذه كلمات أشعر أن فيها الكفاية ، في عصمة سادتي وأئمتي الإثنى عشر (عليهم السلام) ، رزقنا ا تعالى حسن الإقتداء بهم ونيل شفاعتهم .